خطبة  (مكانة العلماء)

الحمد لله الذي يصطفي من عباده من يشاء ، يجتبيهم بالنعم ، ويصطفيهم لأعظم العطايا والمنن .

يختصهم برحمته ، ويُعلي قدرهم في الدارين .

أحمده سبحانه جعل العلم أعظم مطلوب ، وأرجى مرغوب .

وأصلي وأسلم على أعظم معلم ، وأزكى مربٍ .

أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وعلَّمه مولاه فأحسن تعليمه ، لم يأمره بالزيادة من شيء إلا من العلم ، لتعلم الأمة أنه خير العطايا وأجلّ الهبات .

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ( فاتقوا الله ويعلمكم الله )

أيها المؤمنون...

لقد منَّ الله على هذه الأمة بمنن لا تحصى ، ونعم لا تُعد ، وعطايا يعجزون عن شكرها .

ومما منَّ به عليها أن جعل ميراث النبوة في أفرادها ، الذين يصطفيهم الله ، ويجتبيهم لأعظم عطية - وهم العلماء الربانيون - الذين ورثوا العلم عن نبيهم عليه الصلاة والسلام وفازوا بفضل الله وبرحمته .

فالعلم خير موروث ، وهو أساس الفضائل ، وأُس المواهب .

والعالم الحق هو خير البرية ، وأزكى الناس أعلاهم منزلة ،

قال تعالى " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ "

وأولى الناس بالخشية هم العلماء الربانيون ، قال تعالى :

"...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ "

فصار العلماء هم خير البرية .

عباد الله /

لقد رفع  الله العلماء فجعلهم في المرتبة العلية ، ونوّه بذكرهم في كتابه لتعلم الأمة عظيم مكانتهم وجلالة قدرهم ، ولينزلوهم الناس المنزلة اللائقة بهم .

فقال سبحانه وتعالى " ...يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ "

ونفى المساوة بين العالم وغيره لترتفع الهمم في نيل درجة العلماء ، فقال تعالى سبحانه :

 " أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ "

وزاد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر أيضاً ، وجلّاه لكل ذي لب ، فقال :

" فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر " رواه أبو داود .

فتخيلوا الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وأدنى رجل في الأمة ، فكذلكم هو الفرق بين العالم والعابد .

العالم الفقية الذي على النهج الصحيح قد أراد الله به خيرًا واجتباه ، قال عليه الصلاة والسلام :

" من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين " رواه البخاري ومسلم .

العالم الرباني زكّاه رسول الله صلى الله علية وسلم بما فاز به من علم ، وبما ظفر به من فهم ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين "

رواه الإمام أحمد .

ولقد عظَّم الله من مكانة العلماء باستشهادهم على أعظم مشهود - وهو وحدانيته واستحقاقه للعبادة – فقال عز من قائل:

" شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "

ولفت النظر إلى كمال عقولهم ، ونضج أفكارهم ، وأنهم المبصرون لأوامره وتوجيهاته ، المتفهمون لأمثاله ، فقال سبحانه :

" وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ومايعقلها إلا العالمون "

وأشار لكمال إدراكهم لمآلات الأمور ، ومعرفة خبايا الشرور ، وأنهم يدركون ما لا يدركه غيرهم ، فقال سبحانه :

" ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ "

وفي هذا إشارة إلى حاجة الأمة إلى الصدور عن رأي العلماء عند نزول المصائب وإقبال الفتن .

أيها المسلمون/

لقد اختص الله العلماء بأن جعلهم حملة للشريعة نقلة للوحي .

يبلّغون الناس دين ربهم فيصحّحون العقائد ، ويعلّمون الناس العبادة الصحيحة التي ارتضاها الله، ويدلّون على السُنّة التي تقربهم من ربهم ، وترفع درجاتهم في منازل الآخرة

بل إن آثار العلماء وفضلهم على الناس يشملهم أمور دنياهم ، بدلالتهم على حسن التعامل مع بعض وجميل العشرة بينهم ، وتقوية وتآلف القلوب ، وصفاء النفوس ، وصلاح المجتمعات ، فيعرّفون الناس بالحقوق والواجبات ، فيصلح حال الوالد مع ولده ، ويزيد إحسان الابن لأبيه ، وتحسن العشرة بين الزوجين ، ويعرف الجارُ حق جاره والصديق واجب صديقه ، ويهذّبون السلوكيات ، فتصير المجتمعات مجتمعات سوية تسير وفق آداب الشرع .

فأي فضل للناس أفضل من هذا !

وأي آثر جميل أجمل من هذا الأثر !

فكم لعلماء الأمة من فضائل للناس ، وكم من توجيهاتهم من صلاح !

عباد الله /

العالم حافظ للشريعة ، مبلغ عن الله ، منير الطريق للسائرين ، مبصّر للعامة السبيل أفنى عمره في التّعَلّم ، وحبس نفسه للتعليم ، بذل حياته لنفع الأمة ، وأمضى وقته لدلالتها على الخير .

فحقٌ على مثله أن يُعرف قدره، وجدير بمثله أن يُنزّل منزلته اللائقه به ولقد أمرت الشريعة بتعظيمه ، وتكاثرت النصوص لإجلاله حفظًا لمكانته ، وتنويهاً بفضله يقول عليه الصلاة والسلام :

" إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللَّهِ تَعَالَى: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبةِ المُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرآنِ غَيْرِ الْغَالي فِيهِ والجَافي عَنْهُ، وإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِطِ " راوه أبو داود .

فحق العلماء كبير ، وطاعتهم بما يوافق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبه فقد أمر الله بذلك في كتابه فقال سبحانه :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا "

فولاة الأمر – هنا – هم العلماء في قول طائفة من أهل العلم ، وإن كانت شاملة لولي الأمر ( الأمام الأعظم ، والعلماء )

وقال سبحانه :

" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ "

فهم الذين قد أُمر النّاس بالرجوع إليهم ، والصدور عن أقوالهم وفتاويهم حتى لا يعيش النّاس في التيه ، ويبقون في الضلال ، وكل تلك الفتاوى مرتبطة بالموافقة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمتى ما جاء من أحد من الناس معارضًا للكتاب والسنة فإنه يضّرب به عرض الحائط كائنًا من كان .

عباد الله /

لقد عمل أعداء الملة على قضية الحط من قدر علماء الأمة ، وتزهيد الناس بهم ، ومحاولة تنفيريهم منهم ليقينهم أنّ الناس إنما يأتمرون بأوامر علماءهم ، ويعملون بتوجيهاتهم ، فإذا حطوا من قدرهم ، واستُهين بهم لم يعد لتوجيهاتهم قيمة ،؟ولا لوجودهم أثر ، وهذا مخالف لأمر الله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففي كتاب الله يقول الله تعالى :

" وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا "

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا نزلت بهم نازلة أتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فصدروا رأيه ، وقبيل وفاته أتت امرأةٌ النبيَ - صلى الله عليه وسلم - فكلمته في شيء فأمرها أن ترجع إليه ، فقالت : أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ - كأنها تعني الموت - فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

" إن لم تجديني فأتي أبا بكر " رواه البخاري .

وفي هذا إشارة منه للرجوع لأعلام الأمّة عند كل أمر يحتاجه أفرادُها .

ولذا كان لزامًا على الأمة أن تحفظ مكانة العلماء وتعرف منزلتهم وتنزلهم المنزلة اللائقة بهم .

ومن جميل صنيع ولاة أمرنا في هذه البلاد احتفاءهم بالعلماء واجلالهم لهم ، ورثوا هذا كابر عن كابر من لدن مؤسس هذه البلاد الملك عبدالعزيز رحمه الله إلى يومنا هذا ، فقد رسموا للنّاس الطريق الأمثل لتقدير العلماء ، وأبانوا للأمّة كيف تتعامل مع أهل الفضل منهم ،

فجزاهم الله خير الجزاء ورفع منزلتهم عنده ، وجدير بعامّة النّاس أن يسيروا على ماسار عليه ولاتهم فهو إضافة إلى أنّه واجب فهو أدب اجتماعي كبير .

بارك الله لي ولكم ....

( الخطبة الثانية )

أيها المسلمون /

لعلماء الأمة حقوق على الناس سأوردها مختصرة ، وإن كان قد جاء بعضها في الخطبة الأولى ولكنني أكررها لتثبيتها والتأكيد عليها .

فمن هذه الحقوق :

توقيرهم وإجلالهم فهم حملة الشريعة ، النافعون للدين فحقهم التوقير والإجلال ، وفي الأثر :

 " ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويُجل عالمنا"

قال طاووس وهو من كبار تلاميذ ابن عباس :

" من السنة توقير أربعة : العالم ، وذو الشيبة ، والسلطان والوالدين" وهذا من سنة نبيكم .

ومن حقوقهم :

عدم تحقيرهم وتنفير الناس منهم – كما يفعله – من لا خلاق له من أدب أو خلق

قال الأمام أحمد :

" إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام فإنه كان شديدًا على أهل البدع "

وبعض وسائل الإعلام تضع من قدر علمائنا لينفرّواالناس منهم ، وليجعلوا العامة يتجهون لغيرهم بغية الفساد والإفساد ، وإحداث الفرقة في المجتمع ، فحذار حذار منهم .

ومن حقوقهم :

التماس الأعذار لهم فالعالِم بشر يُخطئ ويصيب فقد يخطئ في مسألة ما  فيطير المغرضون بها فرحًا ، قادحين في هذا العالم ، ساعين في الحط من قدره .

ومع يقيننا بأن العصمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه علينا أن نحسن الظن بالعالم الرباني فهو بشر يُخطئ ويصيب ، وأن أخطأ في مسألة فلا يسوغ احتقاره أو تجهيله كاملاً .

ومن حقوقهم :

الدعاء لهم بظهر الغيب ، فلهم فضل علينا يقارب فضل الوالدين فهم الذين يبصرون الناس بما ينفعهم عند ربهم .

أيها الآباء والمربون /

ومن حسن التربية للأمة والأبناء أن نربي من تحت أيدينا على احترام العلماء ، وإجلال أقوالهم ، ونشر فتاويهم خصوصًا من عُرِفوا برسوخ القدم في العلم ، وطول الأمد في التعليم ، وممن شُهد لهم بالورع والتقوى والصدور عن الأدلة الشرعية ، وتعظيم الوحيين ، وممن وضع الله لهم القبول في الأرض ، فهم أحرى بالاتّباع ، وأولى بالنهل من علمهم ، فوضْع القبول للعبد مصدره السماء ، والله قد حمى الأمّة من الاجتماع على الضلالة ، فمن شهد له مجموع الأمة بالخيرية فهو مقدم .

وإن بلادنا – ولله الحمد – تزخر بمثل هؤلاء وتطمئن النفوس لفتاويهم وقد جعل الله لأقوالهم القبول .

فاللهم احفظها وأهلها من كل شر وسوء .

ألا وصلوا على البشير النذير .....

كتبها / عادل بن عبدالعزيز المحلاوي